obeikandl.com

لقطات من مراحل التاريخ

المفكر المصرى الراحل سلامة موسى

لفت نظرى فى برنامج المكتب الثقافى المصرى لموسم محاضرات هذا العام اسم الكاتب الراحل سلامة موسى، إذ يتحدث عنه فى محاضرة د.فؤاد مجلى، وهو أستاذ أكاديمى وباحث مصرى يتميز بالحضور المعرفى والاطلاع الثقافى وله دراسات قيمة فى علوم التراث المصرى واسهامات الكنيسة المصرية البارزة فى حقل الفكر والوطنية واستيعاب التاريخ والتعبير عن إرث بارز لخصوصية العقيدة المسيحية على أرض مصر.

وكان سلامة موسى من علامات فكر النهضة المصرية، وهو يشكل الضلع الرابع فى معادلة عباس محمود العقاد، د. طه حسين، وتوفيق الحكيم. ويتحدث عنه المفكر الراحل لويس عوض باستفاضة فى كتابه المهم - أوراق العمر - الذى كان فى الصفحات الأخيرة التى نشرها المثقف البارز قبل رحيله، حيث تحدث عن مكونات عصر النهضة المصرية مع بدايات القرن الماضى وطموح الحياة فى المجالات الأكاديمية والعلمية وبناء جامعة القاهرة ودور جيل الرواد. وقد توقف عوض عند العقاد وطه حسين وسلامة فى كتابة انطباعات قوية عن ثالوث خاض معارك الفكر والتحديث والاشتباك مع التخلف والمواجهة مع التيار المحافظ الذى أراد تكبيل مصر بقيود عقيمة لمنع حركتها وحريتها.

ومصر تنهض ببعث تيار الحرية والانفتاح والارتباط بالأمل والغد. وقد تعلقت فى نهضتها الحديثة بمشروع التعليم وبناء الجامعات والاعتماد على إرث الوحدة الوطنية. وقد حافظ الالتقاء الوطنى على صيغة مصرية حمت الوطن من الصراع الداخلى والخلاف. وقد حافظت جميع الحكومات على هذه العقيدة الوطنية من تيارات التخلف والطائفية. ومصر دولة موحدة قوية بنهضة شعبها ومستوى التعليم والحقوق المدنية التى يتمتع بها الشعب المصرى.

وكتاب د. لويس عوض عن «أوراق العمر» شهادة موثقة من مفكر بارز دافع عن الوحدة الوطنية ومسيرة البحث العقلى وارتبط بالتنوير الفكرى خلال مراحل حياته، وقد أسهم عوض فى إنارة الحياة المصرية عندما أسند له الأستاذ محمد حسنين هيكل الكتابة فى الأهرام وتولى القسم الثقافى به، وكانت معادلة هيكل البارزة جذب المثقف إلى نظام يوليو وجعل الأهرام المنبر المفتوح أمام أسماء بارزة فى عالم الثقافة والأدب والفكر.

وقد تجمع توفيق الحكيم مع نجيب محفوظ ود. حسين فوزى ولويس عوض فى مكان واحد، وخلال الملحق الثقافى الأسبوعى الذى كان المنبر المفتوح الحر خلال مرحلة حساسة.

ونشر نجيب محفوظ «ثرثرة على النيل» التى كانت توجه انتقادات لفلسفة الحكم آنذاك. وتولى «الأهرام» أيضًا نشر تجربة «بنك القلق» لتوفيق الحكيم، وقد حفر الأهرام «دور المؤسسة الوطنية العريقة فى شكل نافذة الحرية الواعية فى أدق مراحل مشروع النهضة المصرى.

واستمر هذا التقليد تحت رئاسة الأستاذ إبراهيم نافع، حيث توسعت مساحة الحرية والتعددية واستيعاب جميع الاتجاهات والأسماء من رجاء النقاش، حتى صلاح فضل وجابر عصفور، وجميع مجموعات ألوان الطيف المصرى الفكرى والأدبى والثقافى.

وطبيعة مصر هى التعدد والتنوع والارتباط معًا فى حديقة الوطن. وكان كتاب لويس عوض قبل وفاته التأريخ لعصر كامل كشف فيه دور سلامة موسى الذى اختفى اسمه عقب رحيله على مشارف الستينيات وكان الكاتب الراحل أيضًا غالى شكرى قد خصص دراسة كاملة عن دور موسى فى عصر النهضة والانفتاح على العلم والحياة وتولى منبر الدعوة الجريئة لتجديد حياة المصريين والكفاح من أجل مسار التقدم.

وتولى د. رفعت السعيد نشر حلقات مهمة من تاريخ مصر المعاصر. وتعرض لسيرة سلامة الذى تعرف فى إنجلترا على مدارس الفكر المتطور وعاد إلى مصر يدعو إلى حداثة جديدة تمامًا. تطول كل شىء وركز بشكل خاص على تنمية الريف المصرى وإعطاء الفلاح حق العلاج والتعليم والمواطنة الحديثة التى تقوم على حقوق الإنسان كما نعرف ذلك الآن.

وأعطى الروائى نجيب محفوظ صورة فنية لدور سلامة موسى الذى كان ينشر مجلة فى حقبة الأربعينيات بعنوان «الفكر الجديد»، تعد حلقات مهمة فى تيار التحديث المصرى. وقد انبهرت بعالم سلامة موسى عندما اطلعت على كتابه البارز «هؤلاء علمونى» ويا ليت مكتبة الأسرة تعيد نشره فى طبعاتها الشعبية الرخيصة التى أعادت الاهتمام بالثقافة وحركات التنوير وتيارات الحداثة والعقلانية وكتابات المدرسة الوطنية المصرية. ويعد هذا المشروع تحت رعاية السيدة سوزان مبارك من أهم الأحداث التى توفر الثقافة للجميع.

وكان التعرف على إرث سلامة موسى وكتاباته عبر التجوال اليومى بسور الأزبكية. الذى كان جامعة شعبية حقيقية تثقف أبناء الأمة بقروش قليلة وتوفر الكتاب فى جميع فروع العالم بأسعار فى متناول الطلاب والباحثين عن نور المعرفة.

وقد عثرت على كتاب موسى فى وقت واحد مع كتاب المفكر المصرى العظيم خالد محمد خالد، وهناك صفات مشتركة بين الاثنين تعكس قيم التنوير والحرية والدفاع عن حقوق التفكير والديمقراطية ورفض قيود الانغلاق، وقد التقيت خالد محمد خالد بمنزله فى منطقة المنيل، وقامت صداقة مع ابنه محمد الذى كان يدرس بالجامعة الأمريكية وانخرط فى حركة التجديد الطلابى التى انطلقت مع نهضة التيار الوطنى المصرى بعد نكسة ١٩٦٧.

وكان الابن يتولى الإشراف على مجلة طلابية تصدرها الجامعة الأمريكية اسمها «القافلة» ونشرت بها مقالة عن الكاتب الفلسطيني الراحل غسان كنفاني. وقد انقطعت صلتي بابن خالد محمد خالد، الذي ذهبت إلى منزله للحديث معه عن ذكرياته ومواقفه بعد أن قرر الاعتزال في منزله عقب الهجوم الحاد عليه خلال مناقشات اجتماعات اللجنة التحضيرية التي عقدت في جامعة القاهرة. وبعد عودة خالد محمد خالد إلى الكتابة مرة أخرى اهتم بالتراجع عن مواقفه القديمة، فقد انتهى عصر التمرد الفكري والسباحة في تيار التجديد، وكان ينشر مقالات وأعمدة في جريدة كنت أعمل بها بلندن، لكنها كانت غريبة على حياته ومواقفه القديمة، كذلك لم تترك أثرًا ما في حياة الناس.

وظل سلامة موسى في نظري الكاتب المجدد والمفكر الحقيقي المرتبط بنهج التغيير والبحث عن لغة جديدة والحديث بجرأة الإنسان، صاحب القضية والذي يدعو إليها بإصرار وقوة. وقد تراجع العقاد عن ثورة التجديد واكتفى بكتابة سلسلة للعبقريات بعد فترة صاخبة من المعارك الحادة مع حزب الوفد ثم ضده وقيادة الغليان ضد مدرسة شوقي، واختار د. طه حسين المهادنة مع المجتمع المحافظ واهتم بالتجديد في مجال التعليم والجامعات وقد أصر سلامة موسى على نهجه حتى رحيله، وترك خلفه هذا الإرث الطويل من كتابات ومواقف ومعارك صاخبة على ورق النهضة المصرية التي بلغت أعلى مراحلها في الأربعينيات والخمسينيات. ودخلت في الستينيات إطار مشروع جديد تقوده الدولة وليس كيانات الأمة التعددية.

إن مصر في عهد ثورة يوليو الوطنية، هي الدولة بمسلكها البيروقراطي وفكر العسكرتاريا ونظام التحكم المركزي، حيث تعثرت في ظلاله حرية الصحافة وحركة الفكر وأسماء كبيرة في عالم الاجتهاد والكتابات الجديدة.

ويحكي نجيب محفوظ عن دور سلامة موسى والمجلة التي كانت ترحب بالكتابات الشابة وتشجع على الاجتهاد، ويرسم في قصر الشوق المقابلة مع المفكر المصري الذي كان يتولى أمر المجلة التي كانت حديث الحياة الثقافية والفكرية بطريقة المنهج الجديد وقد اندهش كمال عبد الجواد بطل الثلاثية المحفوظية من تواضع مقر مجلة سلامة موسى رغم الصخب الشديد لها في الحياة الفكرية والأدبية.

وقد مررت بالمشهد نفسه عندما زرت مقر مجلة أدب ونقد في العاصمة والتقيت الناقدة والكاتبة فريدة النقاش رئيسة التحرير وأدركت أن الإبداع وجلال الموقف ينطلق من صدق الدور وطبيعة المهمة الفكرية والأدبية، وهناك مجلات تصدر من مكاتب فارهة لا يشعر بها الناس لأنها مزيفة.

ومجلة «أدب ونقد» من المنابر ذات التأثير البالغ وأتابعها منذ صدورها وعندما كنت في

بيروت وجدتها تحظى بمكانة لدى الأدباء وأهل العلم، وحدثت المثقفين فى العاصمة اللبنانية عن إمكانات مادية متواضعة لمجلة بارزة بهذا الحجم والدور وراية التنوير التى تقف تحتها. وكم احترمت فريدة النقاش لوجودها على رأس فريق من الأدباء والكتّاب الشبان فى مكان بسيط ومتواضع للغاية لا يمكن أى تصور مقر هذا المنبر المنتشر فى جميع أرجاء الأرض ويتحدث كل شهر عن موضوعات من الشرق والغرب بمتابعة دقيقة معاصرة ولغة حديثة وإخراج فنى متفوق.

وكان سلامة موسى مدرسة تعزف على أوتار الجوهر وبناء نهضة مصر بتعليم أبناء الشعب وتوفير الرعاية والحرية والضمانات الحقوقية رغم أن مصر كانت فى الأربعينيات لديها جامعات ونهضة مدنية، غير أن النظام كان فئويًا لا يهتم بعامة الشعب مع أنهم عماد الوطن كله!

وقد ظلت كتابات سلامة موسى تدخل فى تكوين المثقفين والأدباء لفترة طويلة. والحديث عنه فى لندن يعيد جلال الصورة ولا ينفى الأجزاء المهمة فى تكوين شكلها، ومن الأهمية أن تحافظ الذاكرة التاريخية على جميع وثائق عصر النهضة الذى انطلق بطموح الحرية والبناء والعلم والديمقراطية، وكانت سلطة الجمود فى كل العصور الأقسى فى مجابهة أهل الفكر والحرية بعصا القمع والسجن والاعتقال.

ولَدىَّ فى لندن كتب فريدة النقاش كلها.. وما كتبته فى كتاب دمعتان ووردة، من وثائق عصر الدفاع عن حرية مصر والانتماء إلى مستقبلها خلال فترة السبعينيات التى انطلقت فيها الرياح السوداء الشديدة القتامة.

وإذا كان سلامة موسى مؤسس تيار النهضة فإن أسماء بارزة خلال السبعينيات حملت الشعلة بإصرار حقيقى رغم العقاب الشديد وحملة التشريد ويرسم حسين عبد الرازق صورة بالغة النقاء لكفاح صحيفة مصرية هى الأهالى خلال هذه الحقبة فى كتاب له يعد المرجع المهم عن مراحل هذه الفترة التى اشتبك معها هيكل فى كتابه «خريف الغضب».

إن الحديث عن سلامة موسى فى برنامج المكتب الثقافى المصرى فى لندن يعد قفزة مهمة للغاية فى إطار رسم صورة للتاريخ بكل الأجزاء، خصوصًا أن المحاضرة موجهة إلى جمهور بريطانى يهمه معرفة تأثير مفكر بهذا الحجم على تيارات الثقافة المصرية المعاصرة.

حديث ممتد عن
محبة الشعب المصرى لأهل البيت

يحب المصريون أهل البيت، وهذه الحقيقة واضحة فى جميع أوجه الحياة المصرية. ومكانة السيدة فاطمة الزهراء ابنة الرسول الكريم لامعة فى وجدان الشعب المصرى، حيث تحظى بالتقدير والحب والاحترام، وفى القاهرة الفاطمية القديمة يحظى هذا الإرث بالتألق الدائم. وفى قلب هذه السلسلة الذهبية من أهل البيت يقع تاريخ سيد الشهداء الإمام الحسين فى بؤرة الوعى والتقدير والاهتمام الدائم فى حلقات من الذكر الطيب والاحتفالات بمولده وحياته وسجله الحافل لنصرة الحق.

ولدى الشعب المصرى عاطفة خاصة لأهل البيت من أبناء الرسول وأحفاده فى تبجيل مميز يعكس محبة الدين الإسلامى ذاته والالتصاق مع تاريخ الدعوة ومراحلها البارزة لإنصاف كلمة الحق على الباطل، وإعلاء من فضيلة العدل فوق الظلم والإجحاف. وتذكر الأدبيات المصرية مكان سيد شهداء أهل الجنة الإمام الحسين ودوره وتاريخه، ويعد الاحتفال بمولده من العلامات المهمة فى سجل الأيام المصرية المرتبطة بالإسلام ورجاله ودعوته للحق.

وكتب الكثيرون عن تأثير أهل البيت على مجمل التاريخ المصرى ولدى التراث الشعبى العشرات من القصص عن الحسين والسيدة زينب التى لها مسجدها البارز والحى الذى يرتبط باسمها فى قلب القاهرة.

والسيدة زينب رئيسة الديوان وحفيدة سيد البشر، وهى تحظى بمحبة خاصة لدى المصريين ويأتى إليها من جميع عموم مصر الزوار يتطلعون إلى الصلاة فى مسجدها، ويحتل الغناء الصوفى المصرى بعشرات المدائح فى السيدة زينب التى تحمل الأسماء المختلفة والكلمات المرتبطة بها واسمها والعائلة الكريمة التى تنتمى إليها.

وقد كتب الأديب يوسف القعيد صورة قلمية مبهرة عن مكانة الست أم هاشم فى وقع الحياة المصرية والحكايات الشعبية المرتبطة بمكانتها والحى الذى يحمل اسمها الكريم. والتراث المتراكم على أرض هذه البيئة المرتبطة بأهل البيت جميعًا ومحبة خاصة لهم.

والمصريون يعملون دائمًا فى إطار تقريب المذاهب وبناء الجسور. لأن العقيدة واحدة. والقرآن هو الذى يجمع الكل فى واحد لعبادة الله وتأدية الفرائض والالتزام بالسنة الشريفة.

وكان شيخ الأزهر الراحل الشيخ محمود شلتوت وراء فكرة التقارب بين السنة والشيعة فى

دعوته التى وجدت الصدى فى التقريب بين المذاهب وبناء الجسور والاتصالات المشتركة للاتفاق على الأسس العامة وجوهر العقيدة الواحد والثابت.

وأعداء الأمة لا يفرقون بين سنى وشيعى ويستخدمون لفظ الإسلام للتعامل مع أبناء الدين الواحد، ولدى الشعب المصرى تراثه الطويل فى محبة خالصة تلغى الفروق وتركز على الجوهر، ومصر عاشت حقبة فاطمية تعتز بها، والأزهر الشريف يرتبط باسم السيدة فاطمة الزهراء بكل تراثها ونسبها ودورها وقربها من الرسول الكريم الذى كان يملك معزة خاصة لها.. فهى الابنة الوحيدة التى أمد الله فى عمرها وظلت على قيد الحياة بعد وفاة النبى ونصرة الإسلام وفتح مكة المكرمة.

وتاريخ السيدة فاطمة الزهراء باقة نور تطل على الحياة الإسلامية لذلك كان هذا الاحتفال الذى أقامه مركز الإمام الخوئى فى لندن خلال ذكرى مولدها العطر وسيرتها الطيبة المضيئة بالمحبة والهدى والإيمان.

ومركز الإمام الخوئى فى العاصمة البريطانية من الأماكن البارزة التى تحتفى بالعلاقات مع مصر والمصريين والارتباط مع الأزهر الشريف فى اتصال مع رجال وأئمة الدعوة.. ودائمًا هناك اتصالات ولقاءات مع مصريين عبر دعوات كريمة لتعزيز فرص التواصل والحوار المشترك والبناء.

وكان لى حظ اللقاء مع السيد عبد المجيد الخوئى قبل رحيله الناجع، وعمل دائمًا خلال حياته على تأكيد جسور الاتصالات واللقاءات مع رموز أهل السنة ورجال الأزهر المصريين، وكان لى شرف حضور اللقاء معه ورئيس جامعة الأزهر د. أحمد عمر هاشم الذى كان يزور العاصمة البريطانية، وكان صاحب الدعوة د. زكى بدوى عالم الدين المصرى الذى يقف دائمًا وراء اللقاءات الطيبة لمصلحة المسلمين ووحدة كلمتهم، وقد زار رئيس جامعة الأزهر مركز الإمام الخوئى: القلعة العلمية والمدرسة الدينية البارزة بمكانتها وتاريخ مؤسسها صاحب العلم والمعرفة الإسلامية الواسعة.

واحتفى مركز الإمام الخوئى بمولد السيدة فاطمة الزهراء فى لقاء دينى وأدبى يهمه التركيز على مراحل الضوء فى عالم السيرة الإسلامية ورموزها وأهل التقوى والإيمان فى مرحلة تحتاج لاستحضار هذا التاريخ حتى يمكن التعامل مع الواقع الحالى للعالم الإسلامى.

واختار المركز الشاعر والأديب المصرى د. حسن إسماعيل للحديث عن حب المصريين لأهل البيت والمكانة التى يحتلونها فى قلوب المصريين وحياتهم اليومية والمعيشية والإيمانية.

والشاعر حسن إسماعيل فتح الله قلبه وشعره للدعوة والحديث عنها والتغنى بفضائل صاحب الرسالة محمد رسول الله ﷺ، والشعر الإسلامى لدى د. إسماعيل يحتل بؤرة ديوانه

ونبض شعره. وهو شاعر فى رحاب المعرفة الإسلامية ويفضى أنوار العقيدة التى تبرق فى شعره ودراسته لأهل الدعوة وأسماء البارزين فى مجلد الكفاح الإسلامى لنصرة كلمة الله.

ألقى الشاعر المصرى الكبير المقيم فى بريطانيا قصيدة رائعة عن فاطمة الزهراء طافت بعالمها النورانى، فهى ابنة سيد البشر تنتمى إليه وإلى عقيدة الإسلام وارتبطت بكفاح الدعوة وأعلامها وهى زوجة الإمام على وأم الحسن والحسين.

طاف الشاعر الموهوب والمقتدر بهذه الكوكبة المضيئة فى سماء الإسلام وتجلت الأخيلة الشعرية والإيقاع الصوفى المدهش فى شعر هو أقرب إلى المناجاة الوجدانية فى حب أهل البيت وعائلة الإسلام وأسماء النور فى ملحمة طويلة تمتد إلى سبعين بيتًا من الشعر واللغة المحلقة فى أجواء التقوى والإيمان.

ودائمًا يبهرنى الشاعر حسن إسماعيل بهذه البلاغة المتألقة واستيعابه للتراث القديم ومراحل الشعر وتطوره من عصوره الأولى حتى عصر أحمد شوقى أمير الشعراء واستطاع الشاعر تطوير لغته فى منطق سلس يمس القلوب بالموسيقى العربية العظيمة والقدرة على البناء فى مجال الصور والأخيلة واستخدام ميزان الشعر بفصاحة موزونة وعبقرية.

وكانت سهرة بالغة العطاء مع سيرة السيدة فاطمة الزهراء فى أمسية للشعر والتقوى والإيمان.

حازت القصيدة ترحيبًا كبيرًا وتفاعلاً بالأجواء الروحية التى طافت بالسيرة العطرة لابنة رسول الله و تاريخها ونسبها لسيد البشر، وتجلت مقدرة الشاعر فى الإبحار المدهش خلال هذا العالم الذى يطل علينا من سماء التقوى وقيم الدين والشهادة فى سبيل الله.

يملك الشاعر الاطلاع الواسع على صفحات التاريخ الإسلامى والأسماء المرتبطة به. وقد استمعت إليه من قبل فى محاضرة حول قصيدة نهج البردة للإمام البوصيرى واطلعت على مدى المعرفة بتاريخ الدعوة والإسلام وحلقات الشعر المرتبط بالرسول وأهل بيته.. ويضاف إلى هذه الأوراق المهمة الاطلاع على محاور التاريخ المصرى ومكوناته الحديثة والأثر الذى يلعبه تراث أهل البيت والسيدة فاطمة الزهراء وحضورها فى قلب الوعى الدينى والتراث القيمى.

ويشكل التراث الصوفى، الوجدان المصرى فى محبة خاصة لأهل البيت، وكل تجليات المدائح النبوية تشير إلى هذا التأثير.

ويملك إرث الإنشاد الدينى مساحة خاصة تبرق فى طريق النور والكشف والمعرفة فى سماء محبة أهل البيت والتغنى بالفضائل والتضحية فى سبيل نصر الدين، وطافت قصيدة د. حسن إسماعيل بكل هذا الزاد النورانى فقامت بعملية إحياء ماهرة لإعادة زخم هذه السيرة إلى عالمنا المعاصر فى ظل هذا الاحتفال الكريم.

وكانت مبادرة الاحتفال من مؤسسة الإمام الخوئى تعبر عن التركيز البارز بالتراث وفضله والاهتمام بأهل البيت الكرام فى مناسبة مولد السيدة فاطمة الزهراء.

وجاءت دعوة جمع هذا الحشد الكبير من الأسماء والشعراء والأدباء والمثقفين للتفاعل مع ذكرى كريمة تحل علينا مع ظروف صعبة تمر بها المنطقة العربية والإسلامية.. وجددت الأمسية بينابيع القدوة والتغنى بالتراث الإسلامى وفضله فى تجسيد قيم العقيدة وثوابتها والفرائض المحورية المرتبطة بها.

وكان اختيار الشاعر د. حسن إسماعيل تجسيداً لقيمته الكبيرة وحضوره الشعرى البالغ الثراء، وارتباطه بإرث الإسلام وإعلامه وعقيدته ومراحل الشعر المرتبط بالدعوة وحامل الرسالة الرسول الكريم.

جسد اللقاء فى مركز الإمام الخوئى بلندن الاحتفاء بالسيدة فاطمة الزهراء وتذكر سيرتها العطرة وتاريخها ونسبها الشريف وجاءت كلمة الشعر لتضيف وهج الكلمات إلى الاحتفال عبر عاطفة شاعر ينطق بحروف لغة القلب ومشاعر الإيمان والتجلى فى سماء المعرفة النورانية النابعة من دين الحق والتقوى.

وما أجمل سماع شعر حسن إسماعيل وهو يتغنى بصفات الرسول وهدى الرسالة ومدح أهل البيت والتوقف عند السيدة فاطمة الزهراء.

لقد بعثت الأمسية الأمل فى انتصار الحق والتغلب على الظلم ودحره.. وأعطت بارقة ثقة قادمة من عالم الإسلام وسيرة رجال ونساء سجلوا صفحات من نور فى كتاب التقوى والإيمان ونصرة الحق والتكاتف مع العدل ضد البغى والعدوان.

ظاهرة مكسيكية مصرية

تقف قاعات أكاديمية الفنون البريطانية فى قلب العاصمة، تطل على المشهد الثقافى والفنى فى تواصل مستمر مع رحلة الإبداع والاكتشاف المتواصل لتيارات شابة جديدة مع التمسك الدائم بالإبحار مع الذاكرة الفنية للإنسانية فى عدة بيئات من الشرق والغرب.. والرويال أكاديمى تفتح أبوابها على مدار العام لمناسبات مهمة للغاية تقرأ فى صفحة الفن الأوربى والآخر الآسيوى، وترحل إلى عصر النهضة وتتوقف عند المدرسة الألمانية. وتقوم باستعراض تيارات الرومانسية والواقعية والتقاليع الحديثة والمعاصرة.

ودائمًا «الرويال أكاديمى» هى محطات الزيارة المتواصلة للبحث فى أرشيف الإنسان وقراءة الأوراق الفنية الدالة على مراحل التاريخ ونمو الوعى وعصور الأزمات والانفراجات والطفرات المختلفة، وعنصر الفن يملك أدوات التاريخ للشعور والوجدان وخلايا العقل ومكونات الثقافة.

وقد استضافت الأكاديمية خلال الآونة الأخيرة المعرض الشامل عن حضارة المكسيك القديمة وتتأمل فى صفحات هذا الكتاب للوقوف على طبيعة الأفكار التى كانت قائمة قبل العصر الحديث وفى مرحلة وسيطة قبل اعتناق المكسيك للديانة المسيحية.

وعمل القائمون على المعرض على إحاطته بعشرات الاحتفالات واللقاءات الفكرية والفنية لإعطاء صورة عن حضارة قديمة نمت فى أمريكا الجنوبية وتأثرت إلى حد ما بالثقافة المصرية التى كانت موجودة فى العصر الفرعونى، والسمات المصرية واضحة فى بناء نموذج الأهرامات المكسيكية وطبيعة صناعة التماثيل والاهتمام بالتعامل مع نظام الكتلة الصخرية. وتسجيل المناسبات المختلفة على جدران المعابد القديمة.

ورغم تميز هذه الحضارة القديمة غير أنه خلال التجوال فى قاعات العرض كان النموذج المصرى القديم يطرح نفسه حيث التألق الشديد والبلاغة الكاملة والنظر إلى أرجاء الكون ومحاولة فك غموضه وأسراره. وثراء الحضارة المصرية هو سبب الاعتناء الشديد بها حتى الآن نتيجة عمق التفكير وتعدد مستويات الاجتهاد، ووجود إمبراطورية ممتدة لها نظامها السياسى وعقيدتها وإنجازات فى الفن والعمارة وبناء صروح الأهرامات بهذا التفوق البارز.

وتبدو حضارة المكسيك القديمة بجوار الأخرى المصرية متواضعة فى كل شىء. ولا تجوز المقارنة على الإطلاق. لكن عقلى لم يكف عن القيام بهذه المهمة خلال التجوال فى قاعات الرويال أكاديمى حول معرض المكسيك الذى طرح هاجس هذه الحضارة على الناس

والمؤسسات التعليمية والحضارية والأكاديمية ولدى مصر القديمة فى بريطانيا معارضها الدائمة فى قاعات المتحف البريطانى مع اهتمام بالغ من برامج التلفزيون البريطانى بأحقاب المرحلة المصرية فى كتاب التاريخ البشرى.

وقد أعطى اهتمام الأكاديمية البريطانية بحضارة المكسيك طبيعة هذه المؤسسة التى تقف خلفها فلسفة مهمة فى إنعاش الذاكرة الإنسانية المعاصرة بالعودة دائمًا إلى تأمل المراحل المختلفة فى تظاهرات شاملة ترتبط بالفن والثقافة والحوار المفتوح. وتعد إقامة المناسبات الفنية فرصة لتقديم حملة كبرى تتناول كل شىء تقريبًا حول الظاهرة من بُعد اجتماعى وتاريخى وفنى وثقافى.

وكان لمعرض المكسيك فرصة للتعامل مع ملفات هذه الحضارة وقراءة الفصول المختلفة فى كتابها المعاصر، والاهتمام بالتاريخ يدفع نحو الحاضر. وهذه طبيعة المعارض التى تستند إلى رؤية ثقافية، ولا تركز فقط على عرض بعض اللوحات والتماثيل. ومنهج الأكاديمية البريطانية هو إثارة النقاش والبحث ودعوة الخبراء وأهل الاختصاص للحديث المتواصل بالمعلومات والبيانات.

وإذا كانت المكسيك سيطرت خلال عدة شهور على المشهد الفنى والثقافى فإن العودة إلى كنوز مدينة «درسدن» الألمانية، شكل إطلالة مدهشة على مجموعة من اللوحات النادرة لعصور الفنّ الأوربى خلال أحقاب النهضة وبروز التيار الانطباعى مع اهتمام بالغ بالمرحلة الكلاسيكية. وتأمل لوحات المعرض يشير إلى أن أوربا تعيش ثقافة واحدة،، فقد تختلف اللهجات واللغات، لكن القلب واحد تقريبًا، كما أن خلايا الوعى متشابهة، ومجموعة «درسدن» متألقة فى حفظ لوحات لأعلام الفن التشكيلى الأوربى بهذا الخيال والرصد والاهتمامات العامة بتسجيل فنون العمارة فى مدينة أوربية نهضت فى عالم الصناعة وشهدت الرواج الاقتصادى وحققت هذه الدرجة من النمو قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية وصعود النازية.

وتكشف اللوحات وسجلات الفن أن أوربا شهدت نهضة دخلت إليها جميع البيئات فى القارة لذلك كان النمو بالمعدل نفسه فى باريس ولندن وامستردام وغيرها من عواصم الحضارة فى هذا المكان من العالم، ودرجة التحضر جعلت من السوق الواحد الامتداد أمام لغة الفن والإنتاج الثقافى والموسيقى. ولم تكن اللغة الفن والإنتاج الثقافى والموسيقى، ولم تكن اللغة عثرة على الإطلاق، إذ إن الدول الأوربية، كانت ولا تزال تملك المواد نفسها فى تقارب مثير للتأمل.

ويعود إلى هذه الحقيقة رواج الفن وكتب الثقافة داخل القارة حيث لا توجد متاريس تمنع التواصل. كما أن الرقابة بشكلها الاستبدادى غير موجودة وأتاح هذا الوضع نمو المذاهب فى

داخل بيئة واحدة تتأثر بما تحدثه مدارس جديدة فى الفن والموسيقى والثقافة بشكل مدهش وملحوظ للغاية.

وخلال متابعة وجود لوحات مجموعة «درسدن» كان الحوار حول هذه الخصوصية، مما جعل الاقتراب من إطار وحدة أوربية فى العصر الحديث ممكنًا وواقعيًا. والعالم العربى رغم أن لغته المشتركة وعاداته المتقاربة فإن موضوع الوحدة متعثر. لأن النهضة لم تحدث فى جميع الأقاليم بشكل واحد، فقد حدثت فى الدول المطلة على المتوسط وتعثرت فى بيئات العمق وتوقفت فى مواقع صعبة لم تكن مهيأة لاستقبال رياح التغيير.

وإذا كانت أكاديمية الفنون البريطانية تثير بمعارضها الجدال الحضارى والمناقشات حول الأنا الأوربية والأخرى الآسيوية والإفريقية، فهى مهتمة بجانب آخر هو اتباع الحداثة العصرية ونماذج الانفتاح على البيئة الشابة الجديدة، ودائمًا معرض الصيف السنوى هو هذه الأفكار كلها بلا قيود أو موانع أو متاريس.

وتتحول قاعات الرويال أكاديمى فى فصل الصيف لاستقبال مئات الأفكار الجديدة فى رحلة للانطلاق التى تتنعش بالحرية وسقوط القيود والاهتمام بحيوية الفن. والصيف يفتح أبواب الاجتهاد والانطلاق، ويمثل المعرض السنوى فرصة حقيقية لعشرات المدارس الجديدة التى تستغل جو الحرية وتأتى بأفكار مبتكرة للغاية قد تصدم العين للوهلة الأولى، لكن التعود عليها يجعلها فى النهاية مقبولة ومسموحًا بها على مسرح الفن البريطانى.

وقد انطلقت من هذا المعرض خلال السنوات الماضية عشرات الأسماء التى جاءت بأفكار جديدة تحمل الصدمة وتنقل الرغبة الشاملة فى التجديد وعبور حاجز الجمود والتقليد. وخلال معرض الصيف تتخلى «الرويال أكاديمى» عن ثياب الشتاء وترتدى ملابس الصيف بألوان زاهية ترحب بالجديد وتفتح أمامه المجال للاحتكاك بالرأى العام والصحافة.

والتجديد يحرك الحياة ويقدم دائمًا له المستقبل، والفنان الأكثر شعورًا بهذه اللغة يبحث باستمرار على ما هو قادم ولديه طاقة للنظر إلى الغد بروح مشبعة بالاكتشاف.

وجميع مظاهر حياتنا مرتبطة بلغة التجديد التى كانت همَّ الفنان فى مراحل الحياة المختلفة، وقد عرض التلفزيون البريطانى حلقة وثائقية عن الرسام الإيطالى دافنشى صاحب الموناليزا وغاص البرنامج فى عالم الاكتشافات والبحث فى ملف الاختراعات المختلفة. وكان الفنان ينطلق من طاقة الإبداع التى تدعو إلى البحث والتأمل وعبور جميع الحواجز.

وعالمنا المعاصر يدين لأسلوب بيكاسو ودالى وإذا توجهت إلى فنادق حديثة فى لندن وجدت أنها تعتمد على أفكار الفنان الغريب الأطوار. والذى جرب عالم الحداثة فى لوحات تعد شاهدة على روح الابتكار.

ويضم معرض صيف هذا العام العشرات من اتجاهات جديدة شابة ومغامرة، فيها روح الابتكار الجميل والرغبة فى العبور نحو أزمنة مختلفة بتخيل شكل الفن والإبداع وصور الجمال.

والحرية مسئولة عن الابتكار فلا توجد رقابة وهيئة الأكاديمية لا تتدخل فى اختيارات الفنان، كما أن الرأى العام لديه سماحة تعود إلى تجربة طويلة فى أن إفساح المجال للإبداع يثرى المجتمع والخبرة الإنسانية، ولندن فى الصيف غير معنية بفرض القيود على الفنان وتتركه يفعل ما يشاء.

وفى النهاية الحكم لحاسة التذوق والموهبة والقدرة على البقاء فى ساحة الفن حيث لا توجد وساطة ولا نفوذ إلا للإبداع الجميل والمتميز، وكنت خلال التجوال فى قاعات «الرويال أكاديمى» أتنفس هذا المناخ وأشعر به، وإنه وراء جميع مظاهر النهضة فى أوربا المعاصرة. إن الحرية لا تعنى الانحلال أو الانهيار وإنما هى هاجس التألق والابتكار والشعوب التى تعيش تحت نير العبودية هى التى تعانى الانحلال والانهيار. إن الفن العظيم يجدد خلايا المجتمعات، ونسيم الحرية هو الهواء الصحى الجميل الذى يعطى العقول والأجسام القدرة على الحياة.

ويضم معرض «الرويال أكاديمى» الجناح الخاص لتصميمات العمارة الحديثة فى ساحة مزدحمة بنماذج نهج معمارى ينتشر فى العالم وينمو بشكل يتسع لأسماء مهمة فى الشرق والغرب معًا.

وتعطى العمارة الحديثة الاهتمام البارز بلغة الفن، ونهج الابتكار الجميل فى ظهور هذه اللوحات المعمارية الرائعة التى تطل على المشهد العالمى فى لندن وعواصم أخرى عالمية يدخل إليها الشرق الأوسط بأكثر من نموذج متفوق فى إبداع معمارى يكشف لوحة التميز. وقد انضم المعماريون إلى قائمة الفنانين فى نهج الإنشاء والإبداع وتحويل صورة فنية مدهشة إلى عالم ينبض بالحياة فى مختلف البيئات.

وأهمية هذا الجناح الاطلاع على الأفكار الجديدة فى عمارة الألفية المعاصرة والخروج من خنادق الأسمنت نحو عالم جديد أكثر رحابة وإنسانية. والمعروف أن ولى العهد البريطانى الأمير تشارلز يشجع على نمط من العمارة له البعد الإنسانى، ويستشهد دائمًا بنظرية المهندس المصرى الراحل حسن فتحى، الذى أسس فى المعادلة المعمارية الجديدة منهج الاحتواء الإنسانى، وأن العمارة لها وظيفة إنسانية لتلبية حاجات البشر الاجتماعية والنفسية. وقد نما خلال الستينيات منهج العمارة الأمريكية المسلحة والأسمنتية. وكان من نتائج سيادة هذا النموذج انتشار القبح فى عواصم العالم خصوصًا لندن.

ويعطى فن العمارة الجديد عشرات من نظريات الابتكار ودائمًا أتوجه لمكتبة بارزة فى

منطقة البيكاديللى للتعرف على كتب تحتفى بهذا الأسلوب الجديد الذى كان من أثره إعطاء حيوية لعواصم جديدة مثل لندن، ويقف المصمم المعمارى السير نورمان فوستر على رأى اتجاه الحداثة المعمارية نتيجة جرأة أفكاره التى كانت فى السابق تعبر عن تمرد غير مقبول، وأصبحت الآن علامة أكثر تطورًا على فن يجدد خلايا الحيوية البشرية.

ومعرض فصل الصيف فى «الرويال أكاديمى» مناسبة مفتوحة على مدارس التجديد بكل زخم الابتكار، ويشارك فى التظاهرة المئات من اللوحات مع نماذج لنحت من مدارس أوربية تحظى بالتكريم فى لندن. وتبدو العاصمة البريطانية خلال أيام المعرض بؤرة الابتكار الأوربى وإنها النافذة الأكثر حرية فى الترحيب بعالم جديد للغاية من اللوحات والأفكار التى تبدو غريبة وجريئة وتشطح فى عالم الخيال والبعد عن الواقعية.

وسمة التحريك فى أوربا إفساح الطريق لأهل الابتكار مهما كانت الأفكار غريبة وتصدم العين للوهلة الأولى والتعود على هذا الطريق هو منهج الاستمرار فى تألق وحيوية.

وقد تابعت حيوية لندن وأدركت كيف أنها سرقت الكاميرا من باريس وروما بسبب إفساح المجال أمام الخيال والتجديد بلا قيود أو موانع أو سدود تقف أمام العقل.

ونهضة أوربا تعود إلى الحرية التى سمحت بهذا التدفق العجيب لعشرات الأفكار الجريئة التى تتخطى حاجز المعقول والتقليدى.

مدرسة الأزهر الشريف

تفتح بريطانيا الديمقراطية أبواب التعبير أمام ثقافات متنوعة ومتعددة فى مجتمع يشجع على الحوار وفتح نوافذ الاجتهاد فى ظل القانون الذى يسمح بالرأى الآخر، ويضمن الحماية له. وقد استفادت الأقليات من هذه الروح فى بناء مؤسسات مختلفة تعكس حضور الديانات والثقافات مع مساندة قوية من جميع الأحزاب عدا تلك العنصرية التى ترفض الوجود الأجنبى لجاليات عرقية ودينية.

ولابد من ذكر دور حزب العمال الحاكم فى تعميق هوية التعدد داخل بريطانيا ومساندته للأقليات وتوفير الحماية لها.

وتاريخ حزب العمال خلال مائة عام هو مع التعدد وتبنى الأقليات وتشجيع ممارستها للعمل السياسى ودفعها نحو البرلمان، وقد استطاع الحزب فى السنوات الأخيرة مساندة أكثر من عضو مسلم فى مجلس العموم البريطانى وتصعيد آخرين إلى مجلس اللوردات، منهم امرأة موجودة ضمن النواب اللوردات فى خطوة مهمة وبارزة.

جاء حزب العمال الحاكم إلى السلطة بأفكار جديدة قبل تحولات الحادى عشر من سبتمبر التى كان لها تأثير سلبى على بعض الأجنحة التى قادت الحركة الراديكالية الجديدة التى كان من نتائجها تحريك الكثير من الملفات والقضايا.

وقد تبنى توني بلير حركة كفاح حزب العمال فى تصعيد النساء إلى مناصب وزارية مع إنجاز الإصلاح الدستورى وترتيب أوضاع الجاليات بالتعبير عن نفسها فى قلب دائرة البرلمان. وكان صعود الحزب على أنقاض حكم المحافظين دفعة قوية للغاية فى اتجاه ثورى مهم للغاية فى ترجمة التغيير قبل المسار الديمقراطى وبانقلاب يدعمه صندوق الاقتراح. وكان حكم المحافظين وصل إلى مرحلة تدهور بظهور الأفكار العنصرية والانحراف نحو اليمين المتعصب بعد نهاية ثورة مارجريت تاتشر بخروجها من السلطة فى عام ١٩٩٠ إثر التمرد ضد قيادتها والذى قاده وزير الدفاع الأسبق مايكل هيزلينين.

ومنع حزب المحافظين عندما كان فى السلطة استمرار حركة المجتمع والاعتراف بالمتغيرات الجديدة فى مقاطعة ويلز، وفى قلب اسكتلندا، وعبر الاحتياجات السياسية والإدارية للعاصمة لندن، وحالة الجمود للفكر المحافظ تولد عنها نمو الاتجاهات المتطرفة ضد الأقليات والثقافات التى تمثلها.

وقد اجتاح حزب العمال الجديد المحافظين فى انتخابات عام ١٩٩٧ بأفكار متطورة للغاية، كان من نتائجها المباشرة انتخاب البرلمان فى اسكتلندا، عبر الإصلاح الدستورى، وتمت عملية انتخاب المجلس النيابى الخاص فى ويلز، مع ترتيب أوضاع أيرلندا الشمالية، ثم دعوة لانتخاب عمدة منتخب للعاصمة البريطانية.

ودخل تونى بلير البرلمان البريطانى بأكبر عدد من النائبات البريطانيات، يعكس وجودهن نمو نزعة الاستقلالية والتعليم ودخول المرأة حقل العمل فى الحياة العامة، ورافق دخول النساء تجسيد لأقليات مختلفة، وكان لذلك أثر صعود عدة نواب مسلمين إلى قمة البرلمان داخل مجلس العموم واللوردات، وعبر وزير الخارجية آنذاك روبن كوك عن مجتمع بريطانى جديد يقوم على تعدد الثقافات وازدهارها ونموها داخل المجتمع البريطانى.

ويمكن القول إن التنوع الثقافى أحدث نوعًا من الثراء للحياة البريطانية عبر هذا العمق الواضح وحياة مزدهرة بثقافات من الشرق والغرب معًا حولت لندن العاصمة إلى مكان عالمى يضم العشرات من الطوائف وحضارات الشعوب المختلفة.

وترى فى لندن جاليات من مختلف أرجاء الكون تعيش فى سلام وتعمل فى ظل ضمانات القانون وحماية المجتمع لهم، وعندما هبَّت عاصفة الحادى عشر من سبتمبر حاولت أحزاب متطرفة الاعتداء على المسلمين، غير أن الأمن وقف ضدهم بصلابة وإصرار فى تطبيق للقانون الذى يرفض حملات الكراهية والتحريض على العدوان.

الديمقراطية البريطانية تسمح بوجود الجميع وتوفر الحماية أمام الأقليات لممارسة الشعائر الدينية فى جو من الضمانات الكاملة، وقد استفادت الدعوة الإسلامية من هذا المناخ فتوسعت بشكل مدهش فى إقامة المساجد والمراكز الإسلامية فى كل مكان، حتى يقال: إن عدد المساجد فى بريطانيا وصل إلى الألف مسجد مع افتتاح المدارس والأكاديميات الإسلامية، ويلعب الدعاة المصريون دورًا بارزًا فى التوجيه الإسلامى الصحيح، بينما حاولت بعض الاتجاهات مغامرة اللعب فى هذا الميدان بشعارات متطرفة ضارة بالإسلام والمسلمين وتحرض عليهم المجتمع البريطانى كله.

إن استمرار العلاقة الطيبة مع المجتمع البريطانى ضرورة حيوية للمحافظة على تقاليد ديمقراطية عريقة استفاد منها الإسلام والجاليات الإسلامية المختلفة فى بريطانيا، والفكر الإرهابى والغلو، والعمل على استمرار أسلوب الكلمة الطيبة والتعامل مع المجتمع البريطانى بعملية تذكر فضله وتشجيعه للعمل الإسلامى.

وقد أصبح الإسلام علامة مهمة فى بريطانيا، وتعترف جميع مؤسسات المجتمع بتيم الدين وثقافته، وقد اختارت الملكة اليزابيث الثانية خلال الاحتفالات بعيد التتويج زيارة لمسجد شمال

لندن فى دلالة متميزة على احترام الإسلام وأنه يدخل ضمن عناصر وجود المجتمع البريطانى.

وتحرص الحكومة البريطانية على المشاركة الدائمة فى احتفالات المسلمين بالأعياد والمناسبات الدينية، ويختار رئيس الوزراء تونى بلير حضور هذه اللقاءات مع وزير الخارجية جاك سترو، والجالية الإسلامية تمارس حقها فى التعبير عن رأيها فى قضايا مختلفة، ويسمح إرث المجتمع الديمقراطى بهذا التحرك فى ظل تقاليد ثابتة، هى وراء ازدهار الكيان البريطانى.

إن الديمقراطية لديها قدرة على البناء والتصحيح وعبور السلبيات والقرارات الخاطئة، وتستطيع الدول الديمقراطية أن تعالج دائمًا المواقف التى تم الاندفاع فيها بلا دراسة أو تمهل، وقد أعطت بريطانيا تجربة مهمة خلال السنوات السابقة مع صعود حزب العمال الجديد بأفكاره المتطورة، غير أن أحداث الحادى عشر من سبتمبر انعكست على مواقف الحزب نتيجة قناعات تونى بلير الخاصة وتحالفاته مع الرئيس الأمريكى جورج بوش والجالية الإسلامية الكبيرة مع الحلف الديمقراطى العريق، وعليها دائمًا التمسك بالقانون والشرعية ومعارضة الغلو والكراهية والالتزام بجوهر الدين، الذى يدعو إلى التعاون والتكامل لمصلحة البشرية وازدهارها.

وتعطى مدرسة الدعوة الإسلامية المصرية الطريق السليم فى الحوار مع الآخرين، ولعل د. زكى بدوى عالم الدين المصرى خير مثال لهذا الطريق الواضح القويم الذى يحض على المحبة ونبذ الكراهية، واستطاع بدوى بالحوار والمناقشة بيان الإسلام الصحيح دون غلو أو تطرف أو إرهاب، والمذاهب الهدامة التى تسللت إلى الدعوة همها شقاء المسلمين ببث الفرقة والكراهية.

لقد عاش المسلمون فى بريطانيا خلال السنوات الأخيرة فى نعمة ديمقراطية لابد من المحافظة عليها بالاندماج فى المجتمع البريطانى وتقدير ثقافته والاعتراف بأنها تترك الآخرين يمارسون حياتهم دون التدخل منها. إن المجتمع البريطانى متسامح ولابد للمسلم أن يمارس التسامح بدوره إزاء هذا المجتمع وعدم التحريض عليه.

لقد تركت الديمقراطية البريطانية المجتمع الإسلامى ينشط كما يشاء، ويطبع الكتب ويصدر الصحف ويقيم المراكز الإسلامية، ويشيد الفضائيات المختلفة فى مناخ من حرية الرأى يعبر عن إرث عظيم يشهد للتجربة الإنسانية بالنضج، والحوار مع هذا المجتمع يتم عبر قيم صحيحة تعمق من هذا الاتجاه وترفض تيارات العنف بمختلف أشكاله، وتعلن أنها لا تعبر لا عن الإسلام ولا المسلمين.

إن الإرهاب كارثة حقيقية على المجتمع الإنسانى، والتصدى للظاهرة واجب أهل الإيمان والديمقراطية.

لقد توسع المسلمون فى تأكيد ثقافاتهم فى بريطانيا من خلال وجود عريض داخل المدن والأقاليم البريطانية المختلفة، وضمنت الديمقراطية هذا التمدد والترحيب به ومساندته، وأذكر كلمة لوزير الخارجية الحالى جاك سترو قالها مع بدء توجه بعثة الحج البريطانية الى الأراضى المقدسة، لقد اعتمدت وزارة الخارجية مبلغ ٣٠ ألف جنيه استرلينى لمساندة البعثة مع دعم مادى رمزى.

ولفتت الثقافة الإسلامية أنظار المجتمع البريطانى لأنها تدعو للسلام النفسى والتقوى والبعد عن الرذيلة، وقد جذبت الرسالة شخصيات بارزة فى المجتمع البريطانى مثل مطرب البوب السابق كيت ستيفن، الذى تحول إلى الإسلام وأطلق على نفسه الاسم الجديد يوسف إسلام، وقد دخل فى الدين الحنيف المئات الذين جذبهم السلام الإسلامى إلى العقيدة، بينما ينفر خطاب الإرهاب الآن مساحة عريضة بسبب أخطاء جماعة الغلو التى تربط الإسلام بطريقة غير صحيحة بالتطرف والتعصب واستخدام العنف.

إن مصلحة الجالية الإسلامية إبعاد هذا التطرف عن الساحة البريطانية حيث يتمتع فيها الجميع بالأمن والسلام والاستقرار فى ظل قيم الديمقراطية التى توفر الأمن والحرية للجميع.

ومن حق المجتمع البريطانى علينا أن نرد له هذا الجميل الديمقراطى بتأكيد أن الإسلام يعزز هذه التقاليد ويتصدى لمن يعتدى عليها. إن بريطانيا حققت ديمقراطية ثابتة بفضل كفاح الرجال عبر سبعة قرون كاملة، وكان من نتائج هذا الإرث الترحيب بالإسلام والمسلمين والعمل معهم لتوفير الأمن والاستقرار لهم، وكان من نتائج سياسة الغلو تربية عدة أجيال جديدة على كراهية هذا المجتمع ورفضه والانتماء إلى دوائر متعصبة ضد الحوار والنقاش ومد جسور التفاهم.

ومن الأهمية عودة أسلوب الدعوة إلى تراث أزهر مصر بكل قيم الإسلام الحقيقية التى تدعو إلى المحبة والعطاء والحوار واحترام الديانات الأخرى، وأفضل هدية من مصر إلى بريطانيا مجموعة الدعاة المصريين فى المراكز الإسلامية يدعون إلى عقيدة الله فى تسامح ملىء بالحكمة والنور والهدى الإسلامى.

وكلما التقيت مع رجال الدعوة المصرية آمنت أن رسالة مصر دائمًا هى المحبة والتفاهم والحوار، والاتصال مع الآخرين، ومصر لم تعرف التعصب أبدًا الذى هو دائمًا يفد من الخارج وتصده الطبيعة المصرية المتسامحة التى تقف فى منطقة الوسط بخبرة السنين والأجيال وحكمة الأيام.

أكسفورد نقلت تجربة الأزهر

حض الإسلام على العلم والمعرفة.. وكانت الكلمة الأولى التى نطق بها الوحى إلى الرسول محمد (ﷺ) هى «اقرأ» وترجمة هذه الدعوة رسالة إسلامية واضحة ومباشرة تدعو إلى القراءة والعلم اعتمادًا على منهج قرآنى يربط العلم بمعرفة الخالق والامتثال لتعاليمه والدعوة إلى شريعته السمحة.

حدد القرآن طبيعة المعرفة القرآنية من أجل إعمار الأرض والاستفادة من العلوم المفيدة وطلبها والاطلاع عليها، ودعا رسول الله ﷺ إلى طلب العلم ولو فى الصين، وقد شيد الإسلام منهج المعرفة وحدد القرآن الكريم هدف المجتمع الإسلامى فى بناء أسس حضارة إسلامية تنهل من المعارف والعلوم فى انفتاح حقيقى لا يعرف الخوف والرهبة من ثقافات الآخرين أو تراثهم، وحقق المنهج الإسلامى نهضة فى مجتمع خرج من بيئة صحراوية محدودة، غير أن دعوة القرآن أقامت حضارة كبرى تقوم على المعرفة والاطلاع والتشييد العمرانى فى المناطق التى فتحتها الدعوة الإسلامية، وقد انتقلت حضارات من نهج قام على ثقافات رومانية وفارسية وملل ونحل مختلفة لتدخل إلى ساحة العقيدة الإسلامية التى أسست حضارة ضخمة وتوسعت فى التأثير البالغ على تيار ثقافى عريض كان قائمًا قبل الإسلام ويشرح الدكتور سعيد عاشور فى كتابه «المدينة الإسلامية» هذا التطور البالغ فى نمو نهج إسلامى قرآنى علمى كان وراء نهضة العلوم والمعارف التى برزت داخل قلب حضارة الإسلام. وقد ظهر علماء من مختلف فروع العلوم الإسلامية أنتجوا فكرهم داخل بناء المدينة الإسلامية بصرف النظر عن انتماءات قديمة لهذا الجيل من العلماء الذى نشأ من أصول مختلفة تشبعت بثقافات مغايرة للعقيدة الإسلامية قبل حصولها على هذه العوالم المختلفة من حضارات فكرية.

حضارة الإسلام فى قلب أوربا:

وقد تكونت لدى العالم الإسلامى عدة بؤر حضارية لمعت على أرض الشام ومصر والعراق وآسيا الوسطى وعبرت الجبال والبحار نحو إسبانيا، حيث تأسست حضارة إسلامية ضخمة تعبر عن نهضة حقيقية بينما دخل العالم الغربى فى القرون الوسيطة فى حالة ظلام بسبب عداء الكنيسة للعلم ورفضها للاجتهاد العلمى وفرضها القوانين المشددة على عمليات الفكر والاجتهاد والتأليف الحر.

وبينما كانت أوربا غارقة فى ظلام العصر الوسيط كان العقل الإسلامى ينتهج فكرًا إسلاميًا فى جميع مجالات المعرفة الإنسانية وكانت حواضر حضارة الإسلام فى دمشق وبغداد والجزيرة العربية والأندلس والقاهرة تنتج فكرًا يتعامل مع الواقع ويجاور العلوم فى مجالات الطب والهندسة والكيمياء والمنطق وعلوم اللغة وبينما كانت أوربا فى كهف الجهل العلمى بعيدًا عن الاشتغال بالعلوم بسبب موقف الكنيسة كان المسجد الإسلامى يقوم بدوره فى بث العلم عبر الحلقات العلمية التى أصبحت منهجًا يميز التعليم الإسلامى الذى يقوم على فكرة الأستاذ المحاضر الذى يتناول علمًا معينًا ويتحلق حوله التلاميذ فى حلقات علم كانت فى الأساس لعملية النمو المنهجى للتعليم الجامعى وكان الأستاذ الفقيه يبحث مع تلاميذه علوم الفقه واللغة والبيان ويخصص كل يوم عدة ساعات للحوار حول ما يواجه من أفكار ويعرضه من نصوص، وكان كل فرع من فروع المعرفة يرتبط بأستاذ معين متخصص فى المادة التى يبحر فيها مع الحلقة الدراسية التى تقوم حول منهجه وطريقة بحثه العلمى.

دور علماء المسلمين:

وقد اشتهرت حلقات علمية عبر تاريخ المدينة الإسلامية فى العصر الوسيط الذى هو مرحلة الانطلاق الحضارى الإسلامى، وحفظ التاريخ دور علماء الإسلام فى تبنى مناهج المعرفة فى مختلف المجالات فبرع الرازى فى الطب والشيخ ابن سينا فى علوم المعرفة المرتبطة بالمنطق وعلوم النفس والطبيعة، ويذكر التاريخ عشرات من العلماء المسلمين الذين نبغوا فى جامعات إسلامية نشأت على منهج القراءة والبحث والتدوين ومواصلة الاجتهادات فى مجالات العلوم الطبيعية والمنطقية.

وبينما كان الغرب فى سبات النوم الحضارى العميق كان علماء الإسلام يقتحمون مجالات العلوم الكيميائية والطبيعية وفروع العلوم الإنسانية من منطق ولغة وفلسفة، وقد استوعب «ابن رشد» فلسفة أرسطو بالكامل ونقلها وشرحها وانتقدها أيضًا، وعندما بدأ الغرب يتلمس طريقة نحو تراثه الإغريقى والرومانى لم يجد سوى ترجمات علماء المسلمين وشروحهم المختلفة على هوامش الفكرين اليونانى والرومانى.

ويقول د. الطاهر أحمد مكى فى كتابه «مقدمة فى الأدب الإسلامى»: إن الإسلام دخل أوربا لأول مرة من طرفها الغربى الجنوبى، أعنى شبه جزيرة أيبريا، عام ٧١١م واستقر فيها تسعة قرون كاملة وأنتج حضارة عظيمة الأثر والخطر كانت وراء عصر النهضة الأوربية واجتاح المسلمون فى أعوامهم الأولى جنوب فرنسا حتى بلغوا أربونة، وصار رباطهم على نهر ردونة. غير أنهم ما لبثوا أن عادوا إلى داخل شبه جزيرة أيبيريا نفسها واستقرت حدودهم عند ما عرف بالثغر الأعلى وعاصمته سرقسطة.

وبلغ الإسلام جزيرة صقلية، وكان احتكاك الإسلام بها منذ أعوامه الأولى وامتد نفوذ الإسلام بعدها إلى ولايات جنوبى إيطاليا مثل: تارنتو ونابولى وسالرن وبارة وبلغ حتى أطراف مدينة روما نفسها.

وأمن معظم أهل صقلية بالإسلام، ويذكر د. مكى فى كتابه أن الرحالة الذين زاروا الجزيرة من عرب وأوربيين وجدوا أن المدينة كانت عامرة بالجوامع والمساجد، وفى بالرمو العاصمة وحدها ما يزيد عن مائة مسجد وفى مدينة البيضاء مائتا مسجد.

ويتحدث د. الطاهر أحمد مكى عن مظاهر المدينة الإسلامية التى أفرزت مجموعة من العلماء تأثروا بمنهج التربية القرآنية الذى أنشأ حضارة ضخمة ،ويقول مكى: إن كثيرين من الذين تعود أصولهم البعيدة إلى الفرس والإغريق أو القوط أو اللاتين لم يعودوا مجرد مواطنين عاديين، وإنما سوف تلتقى بهم أساتذة كبارًا فى مقدمة أعلام الحضارة الإسلامية العالمية وإن عبروا عن ذلك بالعربية وحدها فأبو نواس كان فارسيًا ومثله ابن المقفع محيى النثر العربى وسيبويه كما يدل عليه اسمه وهو من أكبر النحاة وابن سينا الفيلسوف، وكان البيرونى العالم من أصل إغريقى ومثله ابن الرومى الشاعر، وياقوت الجغرافى ومؤرخ الأدب.

لقد تغلغل المنهج الإسلامى التربوى والتعليمى فى الغرب خلال العصر الوسيط مع الفتوحات الإسلامية ونقل المسلمون منهجهم الذى يعد البدايات العلمية فى ترسيخ الحياة الجامعية الحديثة ويرى باحثون أن الغرب عندما بدأ يفيق من سبات عصر الظلام لم يكن أمامه سوى النموذج الإسلامى الذى انتقل إلى قلب أوربا ذاتها خلال فترة الفتوحات.

ووجود أكثر من ثلاثمائة مسجد فى عاصمة صقلية مجرد إشارة على انتقال منهج تعليمى اعتمد على طريقة الحلقات والتدريس لمختلف العلوم عبر تحلق التلاميذ حول فقيه يشرح دروسه اليومية بعد أوقات الصلاة، وقد اكتملت العملية المنهجية التربوية الإسلامية فى قيام منابر علمية تقوم على أسلوب منهجى واضح يعبر عن نسق التعليم العالى لدى المجتمع الإسلامى.

ويرى علماء وباحثون أن جامع الأزهر الذى أقيم فى عام ٣٦١هـ/٩٧٢م أسس بدايات منهج التعليم العالى سواء من ناحية طريقة التدريس أو من ناحية الاتفاق على هذه المؤسسة التعليمية الإسلامية، فقد اعتمد علماء الأزهر فى تأدية رسالتهم الدينية والعلمية على موارد مالية متعددة من أهمها الأوقاف التى كان موقفها أصحابها على الأزهر حتى يستمر فى أداء وظيفته عبر العصور، ويقول كتاب تقرير «الحالة الدينية فى مصر»: إن سلاطين دولة المماليك البحرية اهتموا بالأزهر وأضيفت إليه مدارس مجاورة وزاد إقبال الطلبة الغرباء والمصريين على الدراسة فى الأزهر لدراسة العلوم الدينية الأمر الذى أدى إلى اتخاذ أروقة الجامع كمساكن يأوى إليها الطلبة الوافدون والمصريون.

ويقول التقرير: إن الأزهر اجتذب عددًا كبيرًا من الدارسين إليه نظرًا لاتساع مجال الدراسة فيه وتنوعها، ولأنه كان مفتوحًا للطلاب حتى للمسيحيين منهم حيث كانت تتقدم لهم الدراسة والسكن والجراية بالمجان ودون تمييز، وهذا المنهج الأكاديمى أعطى الطالب حرية اختيار المواد التى يدرسها على يد شيخ متفقه فى علوم معينة.

وفكرة الدراسة المجانية ومنح الجراية للطلبة هى المقابل للمنحة الدراسية التى يحصل عليها طلاب الدراسات العليا فى الجامعات الحديثة.

والأستاذ الذى يقوم بتدريس مادة معينة ويلتف حوله الدارسون فى حلقة علمية هى البداية الأولى لنظام التخصص الذى نما بعد ذلك فى مرافق التعليم الحديث، ويرى باحثون أن جامعة «هسفورد البريطانية العريقة نقلت نظام تعليمها وهيكلها المنهجى من جامعة الأزهر ويقول د. محمد مصطفى بدوى الذى كان يرأس قسم الدراسات الأدبية العربية بالجامعة: إن أكسفورد تأثرت بالتأكيد بما كان فى الأزهر من منهج خاص يعتمد على توفير الحلقات العلمية ومنح «الجراية» بمعنى الإنفاق على الطالب وتوفير الوقت أمامه للعملية العلمية بالكامل.

ويضيف د. بدوى أن ما حدث من تأثر جامعة أكسفورد بالمنهج الأزهرى حقيقة تاريخية واضحة، إذ أن العلماء فى الغرب عندما بدأ تأسيس المؤسسات التعليمية لم يجدوا أمامهم سوى المثل التعليمى الإسلامى الذى كان قائمًا فى الحواضر العربية والأوربية نفسها. لقد أقام المسلمون فى أوربا لأحقاب طويلة ورسخوا منهجهم العلمى فى التدريس والبحث، وعندما بدأت عوامل النهضة الأوربية لم يكن أمام فكر أوربا سوى النموذج الإسلامى فقاموا بنقله فى البداية ثم تطويره حتى ارتقت وترسخت مناهج الكليات العلمية فى الغرب.

والجامع الأزهر نشأ فى عام ٩٧٢م وجامعة أكسفورد مع نهاية القرن الثالث عشر، وكانت هناك تمهيدات مبكرة فى القرن الثانى عشر عندما تجمعت عدة عوامل فى مدينة أكسفورد لتمهد لإنشاء الجامعة مثل قرار فرنسا طرد الطلبة الأجانب من جامعاتها ومنهم الطلبة الإنجليز. وقد بدأت أكسفورد تتجمع فيها عوامل إنشاء أول جامعة إنجليزية حيث تعد الأقدم فى بريطانيا وأوربا، وشهدت تطورات عديدة وتحولات منهجية إذ كانت قاصرة على أتباع المذهب الكاثوليكى ثم تعرضت لمتغيرات نتيجة تبنى إنجلترا للمذهب البروتستانتى.

وقد عاصرت الجامعة الحرب الأهلية التى اندلعت ما بين أعوام ١٦٤٢-١٦٤٩ والتى قادها كرومويل وحاولت الحركة البيورتانية إغلاقها بحجة أن التعليم الجامعى يتعارض مع المذهب الدينى للبلاد.

وتأثر منهج جامعة أكسفورد فى مراحله الأولى فى ظل عوامل النشأة بالأسلوب الذى اتبع فى الأزهر فى تخصيص أستاذ للمادة وحرية الطالب فى اختيار الحلقة التى ينضم إليها، كما أن

أسلوب «الجراية» الذى طبقه الأزهر اعتمدته جامعة أكسفورد فى توفير المنح الدراسية العليا،

ويقول د. مصطفى بدوى: إن الغرب اطلع على منهج الإسلام التربوى والتعليمى من خلال حركة الترجمة التى نقلت الأبحاث الإسلامية المختلفة التى ازدهرت فى الجامعات والمحافل الإسلامية التى نشأت فى قرطبة وغيرها.

ويضيف بأن الرحالة الغربيين قاموا بدور مهم للغاية فى الحديث عن أسلوب التعليم الإسلامى الذى كان مطبقًا ويجرى العمل به فى مؤسسات الأزهر.

وقد أعطت الحضارة الإسلامية نموذجًا أكاديميًا لانفتاح عمليات التدريس والبحث ودور الأستاذ فى الارتباط بالدارسين والإشراف على أبحاثهم والدخول معهم فى حوار متصل حول منهج البحث والمصادر والنتائج التى توصل إليها الباحث خلال سنوات دراسته الطويلة على يد أستاذه والمشرف على بحثه..

وتتضمن سجلات التاريخ عدة وثائق عن طبيعة الأستاذ المشرف على الرسالة البحثية التى يقوم بها الدارس أو المجاور بلغة الأزهر ومناهج التعليم فيه.

وقد رسخ الأزهر منهجًا اعتمد على تراث إسلامى طويل، وتشعبت عمليات التراكم المنهجى داخل الأزهر خلال عصور مختلفة قبل قيام جامعة أكسفورد فى إنجلترا مع نهاية القرن الثالث عشر الميلادى.

والتشابه فى البدايات التعليمية داخل أكسفورد واضح مع منهج الأزهر فى نظام الحلقة التعليمية ونظام «الجراية» والمنحة المالية حتى يتفرغ الطالب لبحثه العلمى ويقول د. مصطفى بدوى: إن هذه الطريقة التى نقلتها أكسفورد فى بدايتها كانت قائمة على تأثر بمنهج إسلامى تعليمى انتعش داخل الكيانات العلمية التى كانت قائمة فى حواضر العالم الإسلامى وأنتجت هذه الحضارة الضخمة.

وهناك من يحاول إنكار دور الإسلام أو فضله على أوربا غير أن الباحث المدقق يرى عبر المقارنة والقراءة الموضوعية أن الحضارة الإسلامية لها الفضل على الحضارة الراهنة فى جانبها الإيجابى المرتبط بالعلم والمعرفة والاجتهاد وفتح نوافذ التنقيب العلمى، وهذه إشارة حول دور الإسلام فى العملية الجامعية قد ينشط اهتمام الحلقات الأكاديمية المعاصرة لتوثيق ما حدث وما تم نقله من منهج ورؤية وطريقة عمل ابتدعها العقل الإسلامى وتركها أمام الحضارة الإنسانية حيث إن الإسلام مسؤول عن كل الجوانب المضيئة فى عملها واتجاهاتها..

إن بحث وجه المقارنة بين أكسفورد والأزهر عمل علمى تفتح أبوابه فى مجال البحث عن الجذور واسترداد ما ينسب للإسلام من فضل وريادة بسبب التوجيه القرآنى العظيم الذى بدأ الدعوة بكلمة «اقرأ».

الداعية المصرى د. زكى بدوى

كرمت الجمعيات الإسلامية وهيئات ثقافية ودينية العالم الإسلامى المصرى د. زكى بدوى لبلوغه سن الثمانين فى احتفالية مهمة تطرقت إلى إنجازاته فى ترسيخ مسيرة الإسلام فى بريطانيا وتعاونه مع جميع الجمعيات والمذاهب للدعوة إلى مقاصد الشريعة وأهدافها والبعد عن الغلو والتطرف وهما ليسا من أصول العقيدة وثوابتها.

وتكريم د. زكى بدوى هو الاعتراف بالمنهج الصحيح والعودة إلى الأصولية الإسلامية فى سيرة السلف الصالح التى تدعو إلى الله بالكلمة الطيبة والموعظة الحسنة.

وركزت كلمات فى الاحتفال بالمركز الإسلامى بلندن على سيرة الرجل وجهاده لرفع اسم الإسلام والدفاع عن قيمه وثقافة الإفتاء المرتبطة بمصلحة الناس وظروف حياتهم وتطورات الواقع وتغيره، خصوصًا العيش فى أوربا والحوار مع أديان أخرى وتأكيد قيم الاتصال واللقاء فى أسلوب الاحترام والتقدير لديانات الله والرسائل السماوية التى أرسلها الخالق العظيم إلى الأرض.

وأجمعت الشخصيات التى حضرت اللقاء على ضرورة تعزيز منهج الشيخ زكى بدوى لأنه ينطلق من صحيح الإسلام فى شرح ثوابت العقيدة وجعلها مع حاجات الإنسان، ترشد من سلوكياته وتدفعه نحو الطريق السليم.

وقد خاض العالم الإسلامى عدة معارك للدفاع عن التفسير الإسلامى للقرآن الكريم، عندما ركبت موجة متطرفة الخطاب الدينى وحولته إلى صراع ومواجهة مع الآخرين، وربط العقيدة بالتشدد، وهى رحمة للإنسانية.

وظل د. بدوى يدافع عن منطق الإسلام فى التصدى لهذه الدعوات الباطلة ورفض أسلوبها المتشدد الذى يدعو إلى مجابهة ورفض للآخرين، وتصور الإسلام فى نهج معاداة العصر ورفض أساليبه وأسلوب هذه المجموعات يقصى الدين الحنيف من ساحة الزمن ويقوى عليه الأعداء وينفر منه الرأى العام فى الدول الغربية.

ومن الأهمية تأكيد أن أسلوب د. زكى بدوى خلال أكثر من نصف قرن من الدعوة الطيبة جذب إلى الإسلام الآلاف فى بريطانيا حيث جذبتهم فضيلة الدعوة المحمدية بما تطالب به من نقاء النفس ونشر المساواة ومكافحة الرذيلة والاعتماد على أخلاق القرآن من مناصرة العائلة وترابطها.

وقد أثمرت الدعوة الطيبة انتشار راية الإسلام فى بريطانيا وتعزيز لغة الحوار مع الطوائف الأخرى، وأهل المذاهب.

وأقام الداعية المصرى هذه العلاقة القوية مع الحياة البريطانية فى قدرة على الحوار الجيد والعقلانى وتقديم الإسلام باعتباره الحضارى وقيمه الدينية التى تتفاعل مع منطق التطور وتستوعبه.

وقد جاءت الرسالة بعبق القيم الأخلاقية ولبناء حضارة تقوم على العلم والإيمان والاستفادة من الجهد الإنسانى وتطويره والقضاء على مجتمع الشرك والجاهلية الذى أفرز القيم الفاسدة من عدم العدل وغرور القوة وبطش النفوذ والثروة على حساب المجتمع كله.

وجاء الإسلام ليقدم صيغة أخرى تقوم دائمًا بفهم العلم وتشجيعه وزيادة حجم الحرية والتفكير والاجتهاد ومساندة حركة الحياة والتطور بشكل عام.

ومتابعة جهود د. زكى بدوى خلال أكثر من نصف قرن تؤكد تمسكه بأصول الدعوة وعدم التردد فى حماية الطريق الذى اختاره، وقد اشتدت عليه هجمة التطرف والغلو، تلك التى اجتاحت الساحة البريطانية وأصبح الإعلام يركز عليها لتصوير الإسلام فى شكل الإرهاب وتعميق العنصرية للهجوم عليه والتخويف منه، وزيادة جرعة الكراهية وتحفيز الجماعات العنصرية لاستثمار هذا الموقف لمعاداة الجالية الإسلامية.

وقد أعطى خطاب التطرف فرصة للهجوم على الإسلام فى وسائل الإعلام البريطانية التى استثمرت نجوم الخطاب غير الصحيح لأهداف سياسية وثقافية.

وقد تصدى الداعية المصرى لهذا الموقف الخطير، الذى جمع الرأى العام ضد ما تطرحه بعض الشخصيات من هجوم على الغرب وقضايا المرأة وأسلوب الحياة فى أوربا.

ومنطق د. بدوى هو تقديم صورة الإسلام لإعطاء الصورة البديلة إذ إنه يحقق السلام النفسى ويدفع لاستقرار المجتمع ويدعو إلى عبادة الله، وطاعة رسوله.

وخطاب الوسطية الإسلامية هو الناجح دائمًا فى جذب الناس وإقناعهم وجعل الدين بوصلة تهديهم إلى طريق الحق والإيمان معًا، فى رحلة البحث عن الهدى.

واهتمت عدة صحف فى بريطانيا بتكريم العالم المصرى الإسلامى والحديث عن بلوغه سن الثمانين، وما حققه من جهد ممتاز فى بناء الجسور القوية فى بريطانيا بين الجالية المسلمة والمجتمع والطوائف الأخرى والديانات.

ويلعب د. بدوى دورًا بالغ الأهمية فى تدعيم الحوار بين المذاهب الإسلامية، وهى الدعوة التى تعود إلى شيخ الأزهر الراحل محمود شلتوت.

إن أعداء الإسلام فقط من يروجون لعداء المذاهب، وأصحاب الخير الإسلامى للدين

والأمة يعملون على تحقيق المودة الدينية لأن الأصل واحد، هو القرآن الكريم وقواعد الإسلام الخمس، ويقوم د. بدوى بجهد كبير فى هذا الطريق، وهو دائمًا يحرص على دعوة علماء الشيعة فى لقاءات كثيرة وتربطه صداقات معهم.

وتمكن الداعية الإسلامى من طرح تفسيرات متطورة تستلهم روح كتاب الله والسنة الشريفة ومقاصدها فى إعطاء الفتاوى المرتبطة بحاجات المسلمين والتسهيل عليهم.

وقد أدى عطاء الداعية الإسلامى المستمر إلى هذه البلورة الواضحة للتعامل مع واقع أحوال المسلمين فى بيئة المهجر واستطاع بالجهد دفع وجود الجالية ليحتل مكانه فى مجتمع تعددى يبدى الاحترام والتقدير للعقيدة الإسلامية. وأصبحت الاحتفالات البريطانية الرسمية يتم فيها تمثيل علماء الدين الإسلامى وقراءة القرآن الكريم.

وهذا الجهد المتميز فى رحلة الدعوة وراء إنجازات كبرى تحققت خلال العمل والدعوة والحوار وبناء المساجد ومساندة المراكز الإسلامية والعمل الخيرى والتعليمى.

وقد حاولت مجموعة الغلو والتطرف تدمير كل هذا الإنجاز بطرح خطاب الصدام مع الآخرين وتحريض الإعلام البريطانى وتنظيم مسيرات استفزازية تقدم الصورة الخاطئة عن دين الرحمة والكلمة الطيبة.

وأدى خطاب الغلو إلى احتقان واضح، وتعريض صورة الإسلام للتشويه بتركيز الإعلام على شخصية واحدة وجعل أفكارها وتصرفاتها هى الإسلام!.

إن مسيرة د. زكى بدوى فى بريطانيا هى صحيح الإسلام وعنوان لدين الحق بلا خصومة مع الآخرين ولا دعوة لاستخدام العنف أو التطرف لقد حققت الوسطية الإسلامية هذه الوثبة فى شئون الدعوة إلى الله والعدل الإسلامى، ومنطق الرحمة والهداية.

واحتفال الجمعيات الإسلامية ببلوغ د. زكى بدوى سن الثمانين هو الانحياز بقوة إلى منهجه وموقفه ونوعية الدعوة التى تنطلق من كتاب الله وسنة الرسول الكريم.

لقد درس د. بدوى فى الأزهر الشريف وهو ابن هذه المؤسسة المدافعة دائمًا عن الإسلام وتعاليمه بالحكمة والكلمة الطيبة، إن الغلظة فى الدعوة تنفر الناس وقد طالب الله جل جلاله الرسول العظيم باستخدام الموعظة الحسنة لجذب الخيريين من بنى البشر وهذا طريق البناء والتراكم للوصول بالإسلام إلى جميع البشر.

ولا يزال الداعية الإسلامى مع بلوغه الثمانين فى شرخ الشباب بهذه الطاقة الروحية والاعتدال والإيمان بقيم الله التى تجدد الخلايا وتمنح الحيوية.

إن عطاء د. زكى بدوى لخدمة الإسلام والمسلمين لأكثر من نصف قرن علامات فى طريق الدعوة لطريق الحق والإيمان.